تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L' ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

L'UNIVERSITE COLONEl AHMED DRAYA-ADRAR

تنظـــــــم

ORGANISE

الملتقى الدولي الحادي عشر

Onziéme Colloque International

التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains

أيام: ٩-١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٨

المحور الرابع:

الطرق الصوفية

الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي
(الجزائر وتونس انموذجا)

د. خير الدين شترة
جامعة أدرار

الملخص:

لقد احتلت الطرقية في المجتمع الجزائري مكانة هامة، إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية كدورها في توطيد العلاقات بسكان التخوم في شرق الجزائر وغرب تونس ومهما يكن من أمر فقد كانت كل من القادرية والرحمانية والطيبية والتيجانية والزيانية أكثر انتشارا في معظم المناطق الشرقية الجزائرية، إذ كانت منتشرة في عين البيضاء وطولقة ونفطة والكاف وتماسين وغيرها وكان للرحمانية وجود قوي في البلدين (تونس والجزائر) « 67139 مريد بنسبة 6 ,45% من عدد سكان المنطقة»، وبناء على ما تؤكده بعض المصادر كان بزاوية الكاف الرحمانية حوالي 900 مريد و32 مقدم في سوق أهراس وحدها بجانب 18 مقدما كانوا يتلقون الدعم من خمسة فروع بالكاف بما لها من 306مريدا وستة مقدمين.

إن هذا الدور الفعال كان له أثر بارز في خلق صلات روحية بين سكان المغرب العربي زادت في توطيد الاتجاه الوحدوي للمنطقة، فالرابطة الروحية والدينية قديمة بين الجزائر وتونس، وهي ترجع إلى قرون قبل الاحتلال الفرنسي وليس غرضنا هنا تتبعها جميعا بل سنكتفي فقط بلمحات وشواهد على الرابطة القائمة رغم محاولة الفرنسيين عزل الجزائر –روحيا– ومراقبة اتصالاتها مع الخارج.

ومن بين الطرق الكثيرة العاملة في الجزائر خلال الاحتلال ما كان أصله في تونس أو المشرق العربي والعكس صحيح حيث كانت الزيارات والصلات متبادلة، لأن الأصول والاهتمامات واحدة، ومن الطرق التي نشأت في تونس وأصبح لها فروع في الجزائر يأتي الحديث على الشاذلية والشابية، أما الطريقة الأشهر التي نشأت في بغداد وكان لها فروع ومقدمون في كل من الجزائر وتونس فهي القادرية، ومن تونس أيضا دخلت البوعلية والسلامية إلى الجزائر.

وتبقى الطريقة الرحمانية، وإن كانت تظهر أنها جزائرية فإنها في أصلها ترجع إلى الطريقة الخلوتية مثلها مثل التيجانية التي هي الأخرى تبدو أنها جزائرية خالصة الظهور بها، غير أن صاحبها قد دخل مختلف الطرق من قبل، وبعد أن أظهر طريقته في الجزائر رحل بها لأسباب مختلفة إلى المغرب الأقصى، وآخر الطرق المهمة في عملية التواصل الروحي بين الجزائر وتونس ودول المغرب العربي هي السنوسية التي دخلت الجزائر من ليبيا بعد أن انتقلت إليها من الحجاز.

ونحن هنا لا نبحث في الطرق الصوفية في حد ذاتها ولكن في العلاقات الناشئة بين الجزائريين والتونسيين والدور الايجابي للطرق الصوفية في توطيد هذه العلاقات، وسنتناول بالبحث انطلاقا من جملة

الوثائق الأرشيفية التي عثرنا عنها بالأرشيف الوطني التونسي الطرق الآتية: القادرية، الرحمانية، الشابية العليوية، السنوسية، التيجانية، البوعلية، الطيبية الشاذلية، العيساوية، العلوية، الحشاشية

The recapitulation:

Methodic had occupy an important place in the Algerian society because it had tge efficient role in the majority of political, economical, and cultural events as its role in establishing the relatiouships between the livers of bandaries in the east of Algeria and the west of Tunisia, and whetever the case may be, EL KADERIA, EL RAHMANIA, EL TIBIA, EL TIJANIA , EL ZAIANIA, were more diffusion in the Algerian oriental regions at tgat time, it was widespread in EIN – ELBAIDA, NAFTA, ELKEFF, Tamasseen and others. The RAHMANIA had a stroug existence in bothe of the two countries (Algeria & Tunisia) " 67 n 39 MOURID in percentage of 45.6% from the number region's livers, according to some resources which confirmed that The Zaouia " ZAWIYA " of EL-KEFF EL-RAHMANIA HAD ABOUT 900 MOURID and 32 MOUKADIM in SOUK-AHRASSE, in addatition n8 MOUKADIM were receiving the support from the five branches at EL-KEFF which had 306 Mourid and Six MOUKADIMIN.

That efficient role had a prominent trace in creating spiritual connections between the livers of the Big Maghreb which in creased in the establishment of the Unionist direction of the region because the Spiritual and the religious connections were ancient between Algeria and Tunisia ant it refers to the ceinturies before the french colonization.

It's not our purpose here to follou it all, but, we will satisfy just by some glauces and evidences about the resing union in spite of the trial of the frenches in isolating Algeria – Spiritual – and coutrolling its communication with the outside.

And one of the plenty effective ways in Algeria during the colonisatiou the ones which were their origin in Tunisia or the Arabian orient and vice versa, whereas the visits and the connections were mutual because the origins and the interests were the same, and one of the ways which rised in Tunisia and became own its branches in Algeria, and here cornes the speech about EL-CHADELIA and EL-CHABIA . On the other hand, the most popular way which rised in BAGDAD and it had its own branches and MOUKADIMOUN in both of Algeria and Tunisia was EL-KADERIA and froum Tunisia also, EL- BOUALIA and EL-SALAMIA entered into Algeria.

And stays EL-RAHMANIA's way, everif it appears to us that it's an Algerian way, in fact, its origin refers to the khalotia's way, the same as EL-TIJANIA which by its turn appears that it's an Algeria one with a purely appearance, except that its ouner have entred to different ways in Algeria, he left with to Maghreb for different raisons, and the Final interesting way in spiritual continuity's operation between Algeria & Tunisia & the Big Maghreb's countries was EL-SONOUSSIA which have entered from Libya after transmitted from EL-HIJAZ.

Here, we are not discussting sufi ways it self, but we are speaking about the relations between the Algerians and the Tunisians and the positive role of the sufi ways in strengthing these relations, and we will start searching going by a group of achives documents which we found in the Tunisian national archive by the following ways: EL-KADERIA, EL-RAHMANIA, EL-SHABIA, EL-ALIAOUIA, EL-SONOUSSIA, EL-TIJANIA, EL-BOUALIA, EL-TAIBIA, EL-SHADELIA, EL-AISSAOUIA, EL-ALAOUIA, EL-HASHASHIA.

مدخل:

الرابطة الروحية والدينية قديمة بين الجزائر وتونس، فهي ترجع إلى قرون قبل الاحتلال الفرنسي وليس غرضنا هذا تتبعها جميعا في الفترة موضوع الدراسة، بل سنكتفي فقط بلمحات وشواهد على الرابطة القائمة، رغم محاولة الفرنسيين عزل الجزائر –روحيا– ومراقبة اتصالاتها مع الخارج.

ومن بين الطرق الكثيرة العاملة في الجزائر خلال الاحتلال ما كان أصله في تونس أو المشرق العربي والعكس صحيح وكانت الزيارات والصلات متبادلة، لأن الأصول والاهتمامات واحدة ومن الطرق التي نشأت في تونس وأصبح لها فروع في الجزائر مثل الشاذلية، أما الطريقة الشهيرة التي نشأت في بغداد وكان لها فروع ومقدمون في كل من الجزائر وتونس فهي القادرية، ومن تونس أيضا دخلت الشابية والبوعلية والسلامية إلى الجزائر.

وتبقى الطريقة الرحمانية، وإن كانت تظهر أنها جزائرية فإنها في أصلها ترجع إلى الطريقة الخلوتية مثلها مثل التيجانية التي هي الأخرى تبدو أنها جزائرية خالصة الظهور بها، غير أن صاحبها قد دخل مختلف الطرق من قبل، وبعد أن أظهر طريقته في الجزائر رحل بها لأسباب مختلفة إلى المغرب الأقصى، وآخر الطرق المهمة في عملية التواصل الروحي بين الجزائر وتونس ودول المغرب العربي هي السنوسية التي دخلت الجزائر من ليبيا بعد أن انتقلت إليها من الحجاز.

ونحن هنا لا نبحث في الطرق الصوفية في حد ذاتها ولكن في العلاقات الناشئة بينها وبين الجزائريين والتونسيين وإذا كان الفرنسيون قد توصلوا حتى إلى تدجين بعض الطرق وجعلها في خدمتها فإنهم اكتفوا بالنسبة للقادرية مثلا بالسيطرة على فروعها ومراقبة نشاط من يأتي باسمها من المشرق وكذلك فعلوا مع السنوسية التي صوّرها في أحيان كثيرة على أنها مصدر خطر عليهم، وكان الفرنسيون أيضا ينظرون إلى هذه الطرق (الأجنبية في وجهة نظرهم)، على أنها جمعيات سرية، تعمل مع السلطنة العثمانية على تحطيم الوجود الفرنسي في الجزائر وتونس وغيرهما، وقد ربطوا بينها وبين حركة الجامعة الإسلامية فالطرق الصوفية من وجهة نظرهم كانت معادية لهم وعميلة للجامعة الإسلامية.

يقول "لويس رين" سنة 1884م «لقد حاول رؤساء الدين الإسلامي (يقصد رؤساء الطرق الصوفية والمرابطين) إثارة المشاعر الدينية لمكافحة ما يرونه خطرا كما حاولوا توحيد الروابط الروحية بين الأمة الإسلامية، وإذا كانت مقاومتهم في البداية محتشمة وغير منظمة فإنها سرعان ما أصبحت في غاية التنظيم والتطور وشملت جميع البلدان الإسلامية وقد توصلت اليوم إلى إنشاء جامعة إسلامية أصبحت خطرا يتهدد جميع الشعوب الأوروبية التي لها مصالح في كل من افريقية وآسيا، وهذه الجامعة الإسلامية تتمثل قوتها ووسيلة تحريكها وتنفيذها في الجمعيات السرية أو الطرق الصوفية التي تمارس تأثيرا عظيما على الجماهير».[1]

[1] –Rinne (LOUIS), Histoire de l'insuruction en Algerie de 1871, Ager: 1891. P65

حقا أن الطرق الصوفية كانت نشيطة عندئذ ولكن علاقتها بالجامعة الإسلامية مبالغ فيها فالأكيد أن حركة الجامعة الإسلامية كانت تتجاوب إلى حد كبير مع رجال من أمثال بوعمامة الجزائري وعُرابي المصري والمهدي السوداني، وكان الثلاثة متعاصرين ومعاصرين لنشاط جمعية العروة الوثقى التي لها خيوط سرية ولكن ليس بالدقة والضخامة التي يريد لويس رين تقديمها لها.

أما الحركة الصوفية فقد كان لها وسائل اتصالاتها هناك طريق الحج رغم القيود عليه، وهناك الرسائل المرموزة والشخصيات المتنكرة، وكان المهاجرون الذين لا ينقطع سيلهم، وهناك منهم من خاض الحرب ضد الفرنسيين وهو يمثل طريقته الصوفية، وعن طبيعة العلاقات الروحية (الصوفية والمذهبية) بين الأخوان في تونس والجزائر فقد تعددت مظاهرها وتنوعت أشكالها، نعرف من مصادر متعددة أن زاوية تماسين وزاوية قمار قد استجلبت بعض العلماء من تونس للتدريس لأبناء الزاوية مثل الشيخ محمد اللقاني السائحي، وقد كان شاعرا وعالما متمكنا وكان متنور العقل متأثرا بحركة النهضة والإصلاح، ولعله هو الذي نفخ روح الهجرة في سبيل العلم لأبناء الزاوية، وكان الشيخ اللقاني من علماء الزيتونة ومن مواليد نفطة وله قصائد سياسية في الحث على النهضة والوطنية.[2]

ومهما كان الأمر فإن هذه الطرق الصوفية كانت قد أحدثت صلات ولو ضعيفة بين الجزائريين والتونسيين في مجال التصوف والسياسة والحضارة، ويذهب الفرنسيون إلى أن من بين الوسائل التي يوصل بها الأهالي حق الزيارة المتبادلة سواء في الجزائر أو في تونس هي توسيط التجار اليهود، واستعمال الحجاج والحوالات البريدية، وهي إدعاءات تعوزها الأدلة في الوقت الحاضر.

لقد نمت الطرق الصوفية في آخر القرن التاسع عشر ميلادي بالجزائر نتيجة عدة عوامل:

- **ظهور فكرة الخلاص الروحي على يد الشيخ.**
- **التعسف الاستعماري باستيطانه وإدارته وقوانينه الاستثنائية بحيث لم يعد للجزائريين من طريق للخلاص إلا العقيدة في الشيوخ.**
- **انعدام التحرك السياسي والدعم الخارجي وفشل الثورات الداخلية.**

وقد لاحظ علماء الاجتماع الفرنسيون أن الطرق الصوفية كانت الملجأ لمعظم الجزائريين أمام هذه الصورة القاتمة لمعيشتهم حيث رأو أن ذلك كان لفائدة الإدارة الفرنسية ولصالح الهدوء والاستقرار.

ولقد شجع الفرنسيون ذلك فأكثروا من الطرق المستقلة ومنحوا الشيخ سلطات روحية على أتباعه بشرط أن يكون مواليا ومخلصا لفرنسا، وزاد الجهل الذي تولّد عن سبعين سنة من الإهمال للتعليم وتدجين العلماء الموظفين من تعميق التخلف العقلي لدى العامة فارتموا في أحضان الطرق الصوفية باعتبارها تمثل الدين وتعد بالخلاص بينما ارتمت الطرق الصوفية بنفسها في أحضان السلطة الفرنسية.[3]

---

[2]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3. بيروت:دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 307.

3- نفسه، ص 299.

وبناء على ذلك شهد عقد الثمانينات والتسعينات من القرن (19م) نموا سريعا في عدد الزوايا والمقدمين والأتباع، فكان عدد الشيوخ حينها 57 شيخا و2149 مقدما و349 زاوية و2000 طالب و224141 من الأخوان حيث كان المجموع 300000 من الأخوان المنتمين للطرق وهو رقم في نظر الفرنسيين دون الحقيقة.[4]

ورغم الادعاء بوجود ملايين من الأتباع عشية الحرب العالمية الثانية، فإن الإحصاءات المعقولة تثبت أن عدد الأتباع سنة 1937م هو حوالي 190 ألف/ن بينما كان عددهم سنة 1910م حسب إحصاء آخر هو 295000/ن ومعنى ذلك أن الأتباع كانوا في تناقص كبير، ولكن مكانة شيوخ الطرق الصوفية ظلت مؤثرة على الأتباع المعتقدين فيهم.[5]

عموما فإنه خلال الحرب العالمية الأولى بحسب تحقيقات " دبون Dupont " و" كوبولاني Coppolani " سجلت الجزائر: 29 طريقة صوفية لها: 295185 مريد وعليها 57 شيخا و6000 مقدم وعندها 49 زاوية وتجبي من الأخوان 07 ملايين فرنك فرنسي...» إلى أن قالا: « وللمشايخ والمرابطين نفوذ عظيم ومكانة في الجزائر عند جميع الأهالي لاسيما البربر، وان العلماء والمدرسين وأئمة المساجد... لا يكادون يكونون شيئا بالقياس إلى المرابطين ومشيخة الطرق[6]، ولعل ما اتسمت به هذه الجمعيات الدينية من فعالية في ميدان الحياة الوطنية خلال القرن (19م) أكسبها سمعة ذائعة الصيت وأحلها من الأمة محلا مقدسا مما جعل الغالبية تتشبث بها، فلبعض الطرق الصوفية مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها أحد.

وعن حظوتها داخل المجتمع الجزائري يذكر المدني مايلي «... كانت للطرق الصوفية بقطر الجزائر حظوة كبيرة ونفوذ عظيم وقد كان لها مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر تلك هي أنها إستطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، فالزوايا الكبرى أمثال: معهد الهامل ومعهد اليلولي ومعهد سيدي منصور... هي التي كانت دائما تكوّن في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء وحفظة القرآن الكريم... ولكن بعد موت مؤسسيها وأفاضلها انقلبت من معاهد علم وإحسان وإرشاد إلى معاهد خرافات وأباطيل.. وآل أمر الكثير منها إلى إحداث وثنية في الإسلام... وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط في كثير من النواحي يتصف بأوصاف الربوبية...»[7]، ومن أهم هذه الطرق الصوفية بحسب أهميتها لموضوعنا المدروس:

4- نفسه، ص 300.

5 – Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 1, NP (1-2-3-4-5).
مراسلات اخوانية بين الطرق الصوفية في القطرين.

6 –Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 2, NP26.
مذكرة تتضمن إرشادات استخبارية عن أحمد بن عباس الجزائري المقيم بتونس والمتهم بإحداث خلافات بين الطرق الصوفية.

7- المدني (أحمد)، كتاب الجزائر (ط1- 1931)، الجزائر: دار الكتاب 1963 ص. ص(350–351). وللتوسع يراجع:
محمد ناصر، المقالة الصحفية، مج1، الجزائر:ش.و.ن.ت، 1978 ،ص 107.

ب- القادرية: أسسها محي الدين بن عبد القادر الجيلالي (1079 – 1166)م المولود بجيلان في بلاد فارس أدخلها إلى المنطقة رجل يدعى الحاج بوزلفة عام 1784م.[8]

ج- الرحمانية: أسسها محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري (1720-1794)م من قبيلة آيت اسماعيل بالجرجرة (المدعو عبد الرحمان بوقبرين) ومعظم أتباعها ينتمون إلى منطقة القبائل ويقيمون في تونس ولها فروع في الجنوب التونسي.

د-الشابية: أسسها أحمد بن مخلوف أحد أتباع الشيخ محمد بن ناصر الدرعي.

هـ- العليوية: أسسها بمدينة مستغانم سنة 1910م، الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة المولود في 1867م.[9]

ج- السنوسية: أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي (1792- 1859)م المولود بمدينة "يلل" قرب مستغانم.[10]

ز-التيجانية: أسسها سنة 1778م بمدينة فاس الجزائري الشيخ أحمد بن محمد المختار التيجاني المولود بعين ماضي (ت1815م).[11]

ح- البوعلية: ترجع إلى بوعلي السني دفين نفطة (ت 610 هـ) وقد اشتهر بالنفطي وهو من تلامذة أبي مدين دفين تلمسان 594هـ.

وهناك طرق صوفية أخرى، ونظرا لدورها الثانوي في موضوعنا فإننا لن نركز عليها منها:

ح- الطيبية: أسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم ونظمها الشيخ مولاي الطيب توفي (1668) وهي طريقة متفرعة عن الشاذلية وأتباعها من المهاجرين من المناطق الصحراوية وخصوصا من منطقة توات في الجنوب الجزائري.[12]

الشاذلية: نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلى التونسى (ت1258م).[13]

العيساوية: أسسها الشيخ محمد بن عيسى الإدريسي (ت 1524م) المولود بمدينة مكناس.

العلوية: التي أسست في القرن السابع للهجرة (7هـ)، حول ضريح أحد الأولياء يدعى "أبو علي" في نفطة.

الحشاشية: **وهي طريقة خاصة بأهل "تقرت" من الجزائريين القاطنين في تونس.[14]**

---

[88] -Archives Nationales (Tunis, Serie D, C156, Dossier 13, C163, Dossier 2, C167, Dossier1, C168, Dossier1, C172, Dossier 1,C178, Dossier1

مراسلات، مواسم زيارات، تنقلات تتعلق بالروابط الروحية والصوفية بين القطرين

9- المدني، كتاب الجزائر، ص 353. للتوسع يراجع:
العربي (إسماعيل)، حاضر الدولة الاسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر: م.و.ك، 1984م، ص86.

10- لوثروب(ستودراد)، حاضر العالم الإسلامي، ج2، تر، تع: شكيب (أرسلان)، سوريا: الفكر العربي، 1351هـ، ص.ص (398–407).

11- نفسه. ص.ص(396–397).

12- اسماعيل (العربي)، حاضر الدول الإسلامية، ص 87.

13- للتوسع يراجع: - المدني، كتاب الجزائر. ص353، - لوثروب، المصدر السابق، ج2.ص 396.

وعندما بدأت الحركة الإصلاحية المنظمة بزعامة «بن باديس» في سنة 1925م رأت أنه من الحكمة القضاء على نفوذ هؤلاء المشائخ أولا وحتى يتسنى للحركة الأخذ بزمام الأمة في الطريق السلفي الصحيح وكان أمام رجال الحركة عدوّان: أحدهما داخلي وهو الطرقية والآخر خارجي وهو الاستعمار، فارتأوا أنه من السياسة الإجهاز على العدو الداخلي أولا حتى يضمنوا بذلك سلامة الجبهة من الداخل بحيث كانت عقيدتهم في الطرق هي أنها: «علة العلل في الإفساد، ومنبع الشرور..».[15]

1-الطريقة القادرية:

لقد وجدت الحركات الصوفية مناخا فسيحا ورحبًا خلال العهود العثمانية، على الرغم من اختلاف طرق الدروشة والتصوف في المنطقة إلا أنها تشابهت في كثير من خصائصها العامة مما كان مدعاة لزيادة التواصل البشري والمذهبي بين تونس والجزائر[16]، ولعل أشهرها على الإطلاق في هذا المضمار هي الطريقة القادرية فهي أساس ومنطلق كل الطرق الصوفية في الجزائر، فالمدينية (نسبة إلى أبا مدين شعيب بن الحسين (1104-1198م) تفرعت عن القادرية) والجنيدية (نسبة إلى الجنيد البغدادي ت 297هـ)، وتفرعت عن المدينية، الطريقة الشاذلية، وعن هذه الأخيرة تفرعت طرق أخرى كثيرة كالدرقاوية والجزولية واليوسيفية والعيساوية والشيخية والطيبية والحنصالية وغيرها وإن كانت الشاذلية قد تفرعت أصلا عن القادرية، ولكنها أخذت منحنى صوفيا يختلف عن المنحنى الصوفي القادري.[17]

وشيوخ القادرية كثيرون في الجزائر وأشهرهم في موضوع دراستنا الشيخ محمد الهاشمي الشريف بن إبراهيم بن أحمد الذي ولد سنة 1853م في نفطة بتونس وتلقى تعليمه الديني الإسلامي على يد والده وبتوجيه من والده شيخ الطريقة القادرية على منطقة الجريد التونسي انتقل إلى ناحية الوادي وأسس بها زاوية قادرية واستمر في نضاله إلى أن توفي عام 1923م وهو دفين مدينة البياضة بالوادي.[18]

وكذا ابنه عبد العزيز الشريف بن الهاشمي (1899 – 1965)م، ويقدّر الفرنسيون عدد أتباع القادرية في الجزائر بمايلي:

- ✓ **عام 1882م بها 14574 إخوانيا و268 مقدما و29 زاوية.**
- ✓ **عام 1897م لها 24578 إخوانيا و558 مقدما و33 زاوية و521 طالب و2695 خونية.**
- ✓ **عام 1906م لها 25000 إخوانيا منهم 2800 خونية و33 زاوية.[19]**

ومعظم زوايا الشرق الجزائري والجنوب ذات صلة بزاوية نفطة والكاف القادريتين ومؤسس زاوية نفطة هو أبو بكر بن أحمد الشريف، وهو تلميذ الشيخ المنزلي (نسبة إلى منزل بوزلفة بتونس) وقد

---

14 -إسماعيل العربي، حاضر الدول الإسلامية. ص 86.
15 -محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج1، ص110.
16- علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983، ص 37
17- عميراوي (أحميدة)، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، الجزائر: دار الهدى، 2003م، ص 27.
18- نفسه.ص 36.
19- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4.ص 58.

تطورت الزوايـة بفضل جهود الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي حتى قال بعضهم أن تـأثيره سنة 1897م وصل إلى غدامس وغات والجزائر وعين صالح وتوات وتيديكلت وله أتباع في بلاد الطوارق وعلى رأسهم الشيخ عابدين، وكان هذا الأخير هو مقدم الشيخ محمد بن إبراهيم وقد ترك إبراهيم أولادا تقاسموا برَكة والدهم على النحو الآتي: الأكبر منهم وهو محمد تولى الزاوية الأم بنفطة وأسس الهاشمي زاويـة في عميش بوادي سوف وأصبح نائبا لأخيه، ونشط الهاشمي في تجنيد الأتباع ونشر الطريقة إلى أقصى الجنوب وربط علاقات مع السودان وغات.[20]

أما في تونس فإن الإخوة أسسوا بالإضافة إلى نفطة زوايا في المدن الآتية: قفصة (محمد العربي) الكاف (محمد الأزهر)، قابس (الحاج أحمد)، ... وهكذا نرى أن زاوية نفطة القادرية قد تفرغت إلى هذه الفروع الصغيرة والكثيرة والتي ترجع في الواقع إلى عائلة واحدة، ولاشك أن انتشار هذه الفروع كان بإذن وترخيص من الفرنسيين، وتتصل زاوية نفطة بالسلسلة القادرية عن طريق الشيخ: " علي بن عمار المنزلي الشائب"، ولها ورد طويل قد يطول عن ورد الطريقة ببغداد.

أما زاوية الكاف فقد أسسها محمد المازوني (الميزوني)، وقد لعبت دورا متعدد الجوانب، وهناك شخصية قادرية غريبة جسدت طبيعة التواصل الروحي الذي كان قائما بين زوايا القطرين، ونعني بذلك الضابط "ديبورتر Deporter" الذي أصبح يدعى "المواطن الصحراوي"، والذي عمل سنوات في صحراء الجزائر وتونس سيما في بسكرة ووادي سوف وغرداية وتوزر وقابس وقبلي، وكان ديبورتر من مواليد فرنسا وهو ابن أحد المستوطنين الفرنسيين في قسنطينة، وتعلم العربية في الوادي وتوزر، ثم دخل مصلحة الشؤون الأهلية، وتولى إدارة المكتب العربي في عدة مناطق كانت آخرها في الوادي سنة 1881م، ومن هناك شارك في الحملة ضد تونس واحتلالها عن طريق الجريد وتمغزة، وعمل فترة في جهاز الاستخبارات بتونس، وأثناء عمله في الوادي وتوزر ربط علاقات صداقة مع الشيخ محمد الكبير بن إبراهيم شيخ زاوية نفطة القادرية[21] ومنذ أواخر القرن (19م)كانت الزاوية القادرية في توزر مهتمة بالتعليم أيضا، وكان صاحبها الشيخ إبراهيم هو أبرز شيوخ القادرية إلى جانب الشيخ الميزوني صاحب زاوية الكاف ويهمنا في زاوية توزر أن فروعها في الجزائر قد أصبحت نشيطة في الجهة الشرقية (تقرت– عميش–ورقلة)، ولعل أشهر هذه الفروع هو فرع عميش بالوادي، الذي كان على رأسه الشيخ الهاشمي بن إبراهيم المذكور سابقا[22]، والشيخ الهاشمي الذي ولد في سنة 1853م وقبيل وفاته يبدو أن أباه قد نصحه بالعودة إلى ديارهم الأصلية بالجزائر، فرجع الشيخ الهاشمي إلى الجزائر في ثمانينات القرن

20- نفسه، ص 47.

21- نفسه. ص.ص (49 – 50).

22- وكان لها أتباع وصلات في تونس ومع الزوايا الأخرى القريبة منها فكريا مثل الرحمانية.للتوسع يراجع: سعد الله (أبو القاسم)، خارج السرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م. ص 120.

(19م)، واستقر به المقام في وادي سوف سنة 1892م أين أسّس زاوية في البياضة وبالضبط في قرية عميش.[23]

إن هذا الشيخ كان قد سّن سنة طيبة وهي أن على من يتولى من أبنائه بعده شؤون الزاوية أن يكون متخرجا من جامع الزيتونة وهده السنة كانت جديدة على أهل الطرق الصوفية، فكانت مفيدة وتدل على عقل سليم ومتنور، وبالفعل كان وريثه هو ابنه الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الذي تخرج من جامع الزيتونة، هذا الأخير جّند زملائه الجزائريين الذين درسوا معه في جامع الزيتونة ليكونوا معلمين في زاويته الجديدة، ورغم أن الفرنسيين قد قضوا على التجربة التي قام بها الشيخ عبد العزيز فإن أبناء الزاوية قد واصلوا التقليد الذي سنّه الشيخ الهاشمي فكانوا من المتعلمين في الزيتونة وفي غيرها وبذلك استفادت منهم الحركة التعليمية بعد الاستقلال أيضا.[24]

23- هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1962)م. ص120 يراجع أيضا:
Rey (G.Z), Le Royaume Arabe, Alger: S.N.E.D.1977.

24- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3.ص ص(235-236).

2 – الطريقة الرحمانية:

احتلت الطرقية في المجتمع الجزائري مكانة هامة إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية كدورها في توطيد العلاقات بسكان التخوم في شرق الجزائر وغرب تونس، ومهما يكن من أمر فقد كانت كل من القادرية والرحمانية والطيبية والتيجانية والزيانية أكثر انتشارا في معظم المناطق الشرقية الجزائرية، إذ كانت منتشرة في عين البيضاء وطولقة ونفطة والكاف وتماسين وغيرها، وكان للرحمانية وجود قوي في البلدين (تونس والجزائر) « 67139 مريد بنسبة 6 ,45% من عدد سكان المنطقة»[25]، وبناء على ما تؤكده بعض المصادر كان بزاوية الكاف الرحمانية حوالي 900 مريد و32 مقدم في سوق أهراس وحدها بجانب 18 مقدما كانوا يتلقون الدعم من خمسة فروع الكاف بما لها من 306مريدا وستة مقدمين.[26]

ويعتبر محمد بن عزوز البرجي شيخ الطريقة الرحمانية (برج طولقة) الذي ورث بركة الطريقة عن شيخه مصطفى بن محمد باش تارزي الذي لم يكن مقدما للرحمانية في الجنوب فقط، ولكن في الجريد التونسي أيضا، كما أنه ولشهرته وكثرة فروعه وأتباعه أصبح وكأنه مؤسس لطريقة جديدة تسمى العزوزية – الرحمانية، كما كان احتلال فرنسا لبسكرة وتطور أحداث الجزائر تونس سببا آخر في تفريعات الطريقة الرحمانية.

فعند احتلال بسكرة (1843 – 1844)م هاجر مصطفى بن محمد بن عزوز إلى نفطة بتونس وأسّس بها زاوية رحمانية أصبحت ذات شهرة واسعة سيما قبل احتلال تونس سنة 1881م، حيث كان ولاء شيوخ الطريقة في فروع (طولقة – أولاد جلال – الأوراس – خنقة سيدي ناجي – الهامل – وادي سوف)للشيخ مصطفى بن عزوز.[27]

وزاوية نفطة التي أنشأها مصطفى بن عزوز– انفصلت عن الطريقة الرحمانية الخلوتية بالجزائر– أنشأها لنشر الطريقة بالقطر التونسي، وفيها تخفيف كبير عن قيود الخلوتية ترغيبا للناس حتى يقبل أكبر عدد ممكن ونجح في اجتذاب عدد كبير من الناس إلى الطريقة، وانتشر صيته، وكان المشير الأول أحمد باشا باي يعتقده ويعظم شانه، وكذلك المشير الثالث محمد الصادق باشا باي، ومدحه الشيخ إبراهيم الرياحي بمدائح شعرية ونثرية[28]، وكان مصطفى بن عزوز صاحب شخصية جذابة بما له من فصاحة وبيان وتمكن في العلم وديانة وذوق صوفي وصدق في ممارسة طقوسه، قال عنه بن أبي ضياف:

---

[25] – Cour(A),"Recherche Sur l'état des Confrères Religieux Musulmans ، "in Revue Africaine, 1862. P115.

[26] – Ibid.

[27] –Archives Nationales (Tunis), Série D, C550, Dossier 30/15,F 886.

ملف خاص بابن عزوز ضمن ملفات سلسلة المشتبه فيهم (Gents suspects) ويتضمن 120 وثيقة.

28- نفسه، يراجع أيضا: - محفوظ (محمد)، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص 379.

«..كان رحمه الله فصيح اللسان، بليغ البيان في أسرار القرآن صاحب ذوق في مقام العرفان، متواضعا على رفعة هذا الشأن يرشح وعاؤه بالرحمة والرأفة والحنان يحب الخير لكل إنسان داعيا لعبادة الله بالهداية والاحسان ماشئت من محاضرات أبرار ومطالع أسرار وأنوار وزهد أخيار».[29]

وكان للطرق الصوفية ورجالها مكانة لدى سائر الطبقات، ولهذا استغل الشيخ مصطفى بن عزوز من طرف الوزير الأكبر مصطفى خزندار في تهدئة ثورة على بن غذاهم تمهيدا منه للانتقام من الأشخاص والقبائل الذين تعاطفوا مع هذه الثورة وأيدوها، وقام الشيخ بن عزوز حينها بجولة في مناطق القبائل ونجح في مهمته نجاحا مؤزرا[30]، وغاية ما يعذر به أنه كان على حسن نية غير عالم بما يبينه محمد الصادق باي ووزيره مصطفى خزندار من غدر ونكث للعهد ويبدو أن صلات ابن غذاهم المريبة مع القنصلية الفرنسية وعطفها عليه، هي التي أوحت إلى خزندار استخدام نفوذ مصطفى بن عزوز ومكانته لدى القبائل وعداوته لفرنسا للقيام بدور التهدئة، بالرغم من أن محمد الصادق باي تيجاني الطريقة ومثله على بن غذاهم من أتباع زاوية تماسين بالجنوب الجزائري وشيخها من أخلص الصنائع لفرنسا.[31]

ونضيف إلى ذلك أن أتباع الطريقة العزوزية يميزون أنفسهم بسبحة بيضاء في أعناقهم وبتسليمهم على بعض بتشابك أيديهم مرتين بكيفية مختلفة وكانت الطريقة واسعة الانتشار بالجنوب التونسي والجزائري.

ومن تلامذة بن عزوز عبد الحفيظ الخنقي مقدم الرحمانية في خنقة سيدي ناجي ونواحيها وعمل على نشر التعليم والأذكار الصوفية، وبقي على ولائه لفرع الرحمانية بنفطة العزوزية[32]، وكان للشيخ مصطفى بن عزوز أولادا عدة منهم من بقي في الجزائر ومنهم من انتقل إلى تونس وأنشأ بها زوايا أيضا هم: الحفناوي الذي خلفه على زاوية نفطة ومحمد الذي أسّس زاوية بالقيروان، والمكي الذي اشتهر بالعلم والورع حيث هاجر إلى المشرق وعمل في نطاق الجامعة الإسلامية وكان الشيخ المكي قد تزوج من نواحي بوسعادة وأنجب ولده الكامل في الجزائر، الذي كان يتردد عليها في تونس وكان الكامل قد تخرج من جامع الزيتونة.[33]

وكان أبناء الشيخ عبد الحفيظ على صلة بزاوية نفطة الرحمانية، حتى أن الأذكار هنا وهناك واحدة وكانت فرنسا تشجع على التفرق في الزوايا والشيوخ لأسباب تتعلق بتسهيل التحكم فيها سواء في الجزائر أو تونس، ولاحظ الباحثون الفرنسيون أن هناك فروعا للفرع أيضا، فزاوية نفطة والخنقة لهما فروع في الكاف وتوزر والقيروان، وجملة الإخوان لهاتين الزاويتين (نفطة والخنقة)تقرب من أربعة عشرة ألف

29- ابن أبي ضياف (أحمد)، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3،تع أحمد الطويلي، الجزائر:ش.و.ن.ت 1979م، ص 132.

30- خزينة وثائق الحكومة التونسية، المجموعة 184، الخزانة 19، الملفات 1033- 1029.

31 –Archives Nationales (Tunis), Série D, C550, Dossier 30/23,F 06.

تقرير عن نشاط محمد المكي بن عزوز في إطار الجامعة الإسلامية بتاريخ:1913/11/06.

32- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4.ص147.

33 – Archives Nationales (Tunis), Série D, C550, Dossier 30/15,F 886

شخص وهو رقم قد يكون مبالغا فيه جدا فحسب إحصاء سنة 1897م: الزوايا 15، والإخوان 13940 منهم 1206 امرأة ولكن لهم شيخ واحد (ابن عزوز)والمقدمون 76 والطلبة 66 والشواش 80.[34]

وترجع شهرة زاوية نفطة إلى كونها أصبحت مدرسة للتعليم بالإضافة إلى الدور الديني والاجتماعي وكان رجالها يكملون تعليمهم بجامع الزيتونة، ويتولون الوظائف الدينية كالقضاء والتعليم ومنهم الجزائريان المكي بن عزوز والخضر بن الحسين، وذهب إلى هذه الزاوية عدد من طلبة الجزائر للدراسة أيضا، مثل عاشور الخنقي كما هرب إليها بعض الثوار أمثال ناصر بن شهرة وشريف ورقلة ونزل فيها محي الدين بن الأمير عبد القادر سنة (1870 – 1871)م حين عاد إلى الجهاد فأهل بسكرة وتبسة والوادي وتقرت كانوا يقصدون زاوية نفطة للتعلم والتصوف معا.

ولقد أعطى "هنري قارو" الذي درس الحركة الإسلامية في أوائل هذا القرن إحصاء للطريقة الرحمانية سنة 1906م، فكان مجموع الأخوان الرحمانيين بناء على رأيه هو 133500 من بينهم أكثر من 13000 من النساء ومنهم أيضا 13000 إخواني و15 زاوية في نفطة[35]، وتعمد ذكر نفطة، رغم أن حديثه كان منصبا على تاريخ الرحمانية في الجزائر، ربما لكثرة أتباع هذا الفرع في الجزائر ولأصوله الجزائرية رغم أنه لم يذكر فروعا أخرى رحمانية مثل: الوادي – الخنقة – خيران.

هناك فرع للرحمانية نشأ في سوق أهراس على يد الشيخ الكامل بن المكي بن عزوز ولا نريد أن نطيل في الحديث عنه، رغم أنه قد يكشف عن خلفيات هامة في علاقات التصوف بالسياسة والعلاقات الروحية بين الجزائر وتونس والشيخ الكامل هو حفيد مصطفى بن عزوز من ابنه المكي الذي هاجر إلى المشرق وعمل في نطاق الجامعة الإسلامية وابنه الكامل تخرج مثل أبيه من جامع الزيتونة.

لقد أحدث الفرنسيون بعد احتلال تونس تنافسا بين زاويتي طولقة ونفطة أو بين الحفناوي والحسين أخ علي بن عثمان شيخ زاوية طولقة وانتهى الخلاف بينهما إلى الانفصال، وبقيت الخصومة بين الفرعين (طولقة – ونفطة)حتى بعد اختفاء الحسين والحفناوي، فقد ذهب البليدي بن الحسين إلى توزر لتأسيس زاوية منافسة للعزوزية، وبعد وفاة الحفناوي خلفه على رأس زاوية نفطة ابنه محمد الأزهاري الذي وجد صعوبة في المحافظة على رصيد الزاوية الذي كان لها في عهد جده مصطفى.[36]

وبعد ثورة 1871م أضطهدت الطريقة الرحمانية، وهدمت زواياها الواقعة في المناطق الثائرة وتفرعت إلى فروع وفقدت مركزيتها بعد هدم زاوية "صدوق" بزعامة الشيخ الحداد، ونفي زعمائها إلى خارج الجزائر، وجزء منها نفي إلى تونس (فرع المقرانيين)، ولكنها كانت أكثر الطرق انتشارا بين الجزائر وتونس فعدد زواياها 177، وطلبتها أكثر من 676، ولها 140596 من الأخوان إضافة إلى 13186 امرأة

---

[34]– نفسه، ص 153.

35- نفسه، ص179.

36- نفسه، ص182.

والاحصاء العام يذكر أن حوالي 165214 تابعا ولكن هذا الرقم دون الواقع بكثير[37]، والرحمانية كما قلنا سلفا منتشرة بكثرة بين الجزائر وتونس، خصوصا بعد إنشاء زاوية نفطة وهجرة أهل زواوة إلى تونس بعد ثورة 1871م.

كما تذكر بعض المصادر أن الجنوب بصفة عامة كان تحت تأثير الزاوية العزوزية خصوصا عن طريق خريجيها أمثال:مولود الزريبي المدرس بزاوية الهامل، وسيدي حامد العبيدي (النفطي) مدرس التجويد والقراءات أو عن طريق معاهدها وزواياها المنتشرة في القطرين مثل: زوايا (طولقة – الهامل – الخنقة–وادي سوف)[38]، ولقد زارها الأستاذ أبو القاسم سعد الله عام 1989م وهاله ما آلت إليه «...زرت في نفطة ما أمكنني زيارته من مظان كالزوايا وبعض المساجد والأشخاص، ولاحظت استمرارية بالنسبة لبعض الزوايا مثل: البوعلية والتيجانية وانقطاعا بالنسبة لزوايا أخرى مثل: زاوية مصطفى بن عزوز، زاوية الشيخ التارزي، كلاهما تعود إلى أصول جزائرية، وقد سمعت شكاوى من أن أوقاف (أحباس)الزاوية قد ضمتها الدولة إلى أملاكها، وأن الزيارات قد انقطعت وأن ورثة أصحاب الزاوية قد تطورت بهم الحياة فأصبحوا موظفين في المدن الأخرى وهجروا زاويتهم وأملاكها.

ولاحظت أنه لم يبق للزاوية العزوزية غير ضريح الشيخ والجامع الذي أصبح بدوره في حالة سيئة أما العقارات الأخرى التي حول الجامع فقد استولى عليها الناس وسكنوها، أما العلم فقد انقطع أثره، فلا شيوخ ولا طلبة ولا مكتبة رغم أن هذه الزاوية كانت في القرن الماضي[ق19م] بالخصوص ملجأ سياسيا ومنتدى علميا بعد احتلال فرنسا لبسكرة ونواحيها ويكفي أنه تخرج منها: المكي بن عزوز والخضر حسين والشيخ محمد اللقاني...».[39]

فمن بلدة نفطة بالجريد التونسي حتى العاصمة التونسية كانت المدارس والزوايا التونسية مشرعة الأبواب لأفواج طلاب العلم على النحو الذي تفصله مذكرات مالك بن نبي «كان في تبسة فواران في الأفكار حقا يحفظه ويرعاه ويصونه العلماء الذين أخذوا يعودون من تونس، ولا يفوتنا أن نذكر أنهم كانوا على سنة من تبسة سنها شيخ من نفطة بالحدود الجزائرية – التونسية التي كانت آنذاك المركز الثقافي الذي يؤمه طلاب العلم الذين كانوا حفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب في زاوية سيدي بن سعيد أو زاوية سيدي عبد الرحمان والذين لم يكونوا قادرين على القيام بدراساتهم العليا في الزيتونة بتونس ».[40]

3- الطريقة الشابية:

إن وادي سوف عامر بالمساجد والزوايا والمكتبات والكتاتيب وقد وجدت فيه بعض الطرق الصوفية مثل الرحمانية والتيجانية والقادرية مركزا خصبا لبث الأفكار وكسب الأتباع، وكانت هذه الطرق

37- نفسه، ص 294.
38- سعد الله، خارج السرب، ص 175.
39- سعد الله (أبو القاسم)، في الجدل الثقافي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م، ص 47.
40– مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ج1، تر مروان القنواتي، بيروت: دار الفكر 1969،ص 134.

الصوفية – كما رأينا سلفا – على صلة قوية مع طرق أخرى مماثلة في كل من الجزائر وتونس، ولنذكر من الطرق التونسية التي وجدت صدى في وادي سوف، الطريقة الشابية، وفي كتاب العدواني معلومات هامة عن نشاط الشابية من جهة وعن نمط حياة أهل سوف قبل العهد الفرنسي.. والذي يعود إلى وثائق الطرق الصوفية المتواجدة في وادي سوف سيجد لا محالة أسماء العلماء الذين كانوا يقومون بنشر التعليم ومبادئ الدين والمذاهب.[41]

لقد كان للشابية نفوذ ديني واسع امتد إلى كل من القالة وسوق أهراس وتبسة والأوراس، إذ كانت القبائل والأسر الثائرة بالأوراس مدعمة بقوة الشابية على الحنانشة والنمامشة المتحالفتين اللتين كانتا من القبائل القوية بالشرق الجزائري حيث امتد نفوذهما إلى " نقرين " في تونس ...وكان الهدف من التحالف هذا هو محاربة بايات قسنطينة مثلما حدث ضد الحاج أحمد باي عام 1828م[42]، لقد علمنا أن العروش والقبائل بأقطار تونس والجزائر كانت مرتكزة على أصول ثلاثة هي: العائلة والأرض والدين.

كان الإنسان التونسي والجزائري ينتسب إلى العرش أو القبيلة عن طريق العائلة الصغيرة بواسطة الطريقة الصوفية ونحن نكتفي هنا بالتركيز على الشابية حيث ذكر علي الشابي في دراسة له نشرتها المجلة التاريخية المغربية في عددها الخاص بالمنهجية التاريخية ومصادر تاريخ المغربي وهي دراسة بعنوان مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية« أطلعنا مؤلف كتاب الأنوار السنية في تاريخ السادة الشابية (صالح بن سعيد الشابي ت 1966م)عن سبب تأليفه للكتاب، حيث قال أن أحد المستشرقين وكان حاكما إداريا بدائرة تبسة من عمالة قسنطينة طلب إليه سنة 1924م أجوبة عن الأسئلة الآتية: الأعراب من أصل الشابية والتعريف بهم وبنسبهم وما الداعي لسكنهم بتونس والجزائر، وما السبب الذي أوجب تفرقهم بالبلاد؟

- ✓ **الاسهام العلمي لهذه العائلة وأسباب ارتباط القبائل بها؟**
- ✓ **عبد الصمد الشابي وإمارته وبيان الأدوار التي لعبها وسياسته تجاه الحفصيين؟**
- ✓ **الطريقة الشابية ومؤسسها ومشائخها.**
- ✓ **الكشف عن حقيقة أحاجي عبد الصمد وألغازه.**

فأجابه بهذا الكتاب الذي ألفه في نفس السنة (1924م)، ومما جاء فيه بما يخص موضوعنا « ..أن عبد الصمد الشابي انتقل بعد وفاة والده إلى أخواله دريد بالسرس ثم باشر عبد الصمد نشاطه في الوسط وفي المنطقة الشمالية الغربية لتونس، وفي الأراضي الجزائرية المتاخمة إلى الأوراس، فجند القبائل الموالية مثل: الهمامة والمحاوشة وبني بربار والنمامشة والحراكته واولاد بوغانم والزغالمة والعمامرة

---

41 - العدواني محمد بن محمد بن عمر، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، المصدر السابق، وللتوسع أكثر يراجع: - سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامحة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص ص(170– 185).

42 -Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 02,F (2-3-4).

وللتوسع يراجع: – عميراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني، قسنطينة، دار البعث 2002، ص 28.

وشارن وونيفة وخاض بها حروبا ضد أحمد بن الحسين الحفصي ومحمد بن الحسين والإسبان، ووقعت بينه وبين سنان باشا اتصالات أفضت إلى تحالف كانت نتيجته القضاء على الاسبان والحفصيين سنة 1573م، وفي سنة 1592م أوقع بالحنانشة الذين فارقوه لصلابته وانضموا بعدها إلى العثمانيين، وتوفي علي بن عبد الصمد الشابي سنة 1637م، فقام بالثورة بعده ابنه بوزيان في سنة 1664م، دون أن يحقق الأهداف التي قاتل من أجلها واستمر أبناؤه من بعده في تجنيد القبائل وفي معركة خاضوها بوادي تاسة سنة 1677م قضى عليهم، ومنذ ذلك الوقت آثر الشابية الانزواء والتفرغ للعلم...».[43]

وتاريخ الشابية في الجزائر يرجع إلى القرن (16م)، وهي طريقة ناصرية، لأن مؤسسها أحمد بن مخلوف كان أحد أتباع الشيخ محمد ناصر الدرعي، وقد نشطت الشابية في نواحي القيروان، وأسسوا زوايا عديدة في تونس والجزائر، وتسيسوا كثيرا، بحيث ظهر منهم تياران: تيار ديني يمثله مسعود الشابي وتيار سياسي يمثله عبد الصمد الشابي وقد انتشرت الشابية في نواحي الجريد (تونس)، ووادي سوف وتبسة وعنابة وخنشلة والخنقة، بحيث كانت لها زوايا ومقدمون بل وثورات ومداخلات سياسية في هذه المناطق، أما شيخ الشابية الفعلي، فهو محمد عبد الهادف (كذا)، الذي أنشأ زاوية في جبل ششار تسمى زاوية المسعود الشابي، وكان ابنه المسعود يساعده على نشاطه الذي يشمل خنشلة وتبسة وسوف.[44]

وآثار الشابية تظهر في شكل مؤسسات دينية كالمساجد، وهي موجودة بالخصوص في سوف ومن حفدة الشيخ المسعود الشابي ابن جدو بورقعة ورمضان ولهذا الأخير ابن يسمى عمار ترك جبل ششار والتحق بتوزر وأنشأ بها زاوية تسمى (بيت الشريعة)، وقد لعبت الشابية دورا أساسيا في عهد الاستعمار كما لعبته من قبل في العهد العثماني، فهي من الطرق التي تجمع بين الدين والدنيا، ويذكر الفرنسيون أنهم وجدوا من قادة الشابية مساعدة أثناء احتلال تونس، وذكرت تقارير فرنسية عام 1896م، أن الشابية تكاد تختفي تماما من تونس، أما في الجزائر فقد لاحظ الفرنسيون كانت ما تزال قوية في سوف، لأن أهل الوادي ما يزالون على احترامهم لأجداد الشابية، وللشابية 2500 من الخدام في نواحي عنابة وقالمة ووادي سوف وقسنطينة.

43- الشابي (علي)، "مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية"، م.ت.م، ع(13-14)، تونس:1979/1م، ص.ص(75-79).
44- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 275.

4- الطريقة العليوية:

وهي الفرع الأخير للشاذلية والدرقاوية، والعليوية تنسب إلى الشيخ "أحمد بن مصطفى بن عليوة" الذي ولد في مستغانم حوالي 1867م وتوفي سنة 1934م، أخذ المبادئ العلمية في مستغانم والتصوف عن "محمد البوزيدي" وتصدر بعده لعمارة زاوية شيخه، ثم استقل واستمد زاوية خاصة به في مستغانم عام 1910م وأخريات في معسكر وغليزان والجزائر، وقد اشترى بن عليوة مطبعة للزاوية وأسس صحفا كانت تنشر نشاطه كما كانت ترافع عن الزاوية ضد مخالفيها ومن أشهر صحفه أسبوعية "لسان الدين" و"البلاغ الجزائري"، حيث كان لهما آراء صريحة لتأييد الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية، وقد وقفت ضد الاندماج وأنصاره وضد التجنيس ودافعت بشدة عن اللغة العربية ومن الوسائل العصرية التي لجأ إليها الشيخ، نشر آرائه في كتيبات ومطبوعات وقد طبعها في الجزائر وتونس ومنها بالإضافة إلى قضايا التصوف والعبادات قصائد الشعر، فقد نسب إلى الشيخ تأليف حوالي 14 كتابا وهي في الواقع وسائل وكتيبات صغيرة تشبه التقاييد ومعظمها في التصوف والشعر ومنها (مفتاح الشهود في مظاهر الوجود) و(المنح القدوسية)[45]، وعلّق "ماسينيون" على الطريقة فقال أنها "فرع جديد للدرقاوية والبوزيدية، وكانت نشيطة، وهي تقول أن لها أتباعا يمتدون من "مليلة إلى تونس" ويصلون إلى 300000 /ن (!!) وهو رقم مبالغ فيه بدون شك".[46]

وعندما حلّ بتونس الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي (بن عليوة) المستغانمي الجزائري شيخ الطريقة العلاوية المتفرعة الدرقاوية والشاذلية ليطبع له كتاب "المنح القدسية في شيخ المرشد المعين بالطريقة الصوفية" وهو كتاب محشو جهالة وخرافات مضحكة، أعجب به الشيخ التونسي "محمد بن خليفة المدني " المفسر الفقيه الصوفي (1989-1959) م وأصرّ أن يسافر مع شيخه إلى الجزائر، وهناك تفانى في خدمته وقرّبه هذا الشيخ وأدناه، حتى صار من أعزّ الخواص وقد اقتضى نظره إلى أن يوجهه إلى نشر الطريقة في 11 ذي الحجة 1329هـ، وبقي في خدمة شيخه نحو ثلاث سنوات إستكتبه فيها لتأليف رسائله ثم أجازه في تلقين الورد العام والاسم الخاص والمفرد، وتلقين أسرار التوحيد وأذنه في نشر الطريقة بالقطر التونسي[47] وبذلك أصبح الشيخ محمد بن خليفة المدنى صوفيا جادا في تربية العموم بالطريقة ولبث نحو نصف قرن في نشر الطريقة وتربية المريدين في قرى الساحل ومدنه، مثل صفاقس وقابس وغيرهما من المدن، وأسّس زاوية ببلدية "قصيبةالمديوني"تدين بالولاء للطريقة العليوية في الجزائر[48].

---

[45]- نفسه، ص (126-132)

[46] -Berque (A)"Un mystique moderniste,Revue Africainem 79/1936, n°761-776.

[47]- محفوظ(محمد) المرجع السابق، ج4، ص 291

48- نفسه، ص 292

كان للشيخ عبد الرحمان بوعزيز " 1884-1955" (والد الأستاذ يحي بوعزيز رحمه الله) جهود مكثفة ومتواصلة في ميادين التربية والتعليم والتوعية الدينية والإصلاح الاجتماعي وبهذا خضع لرقابة مشددة من طرف السلطات الاستعمارية، وقد بدأت هذه المراقبة تشتد ضده منذ نهاية الحرب العالمية الأولى كما توضح ذلك رسالة وجهّها عامل عمالة قسنطينة الفرنسي إلى المقيم العام بتونس يوم 11 جوان 1921م وحدثه فيها عن نشاط الشيخ عبد الرحمان بوعزيز وزميله الشيخ الصديق بوفليج، وأكد له أن هذا النشاط ديني وسياسي ضد الفرنسيين، ففي عام 1993م كان قد أرسل الأستاذ التونسي "التليلي العجيلي" مقالا حول نشاط أتباع الطريقة العليوية بتونس – منشور في مجلة إبلا – ذكر فيه إسم الشيخ عبد الرحمان بوعزيز ضمن هؤلاء من خلال رسائل إطلع عليها بأرشيف الوزارة الأولى بتونس، حيث نبّه عامل قسنطينة إلى ضرورة تشديد الرقابة على هذين الجزائريين بالإضافة إلى جزائري ثالث هو"بغدادي مولاي الحسن " الذين كانوا ينشطون بكثافة في تونس في إطار الطريقة العليوية [49].

حيث جاء في رسالته [50] إلى المقيم العام بتونس "... وحسب المعلومات التي وصلت إلى فإنه توجه إلى تونس (أي مولاي الحسن) والهدف من رحلته هو الاتفاق مع صاحب مطبعة في تلك المدينة لطبع الكتب الدينية لشيخه ابن عليوة " وأيضا الهدف من هذا التبشير الديني من طرف الشخصيات التي سميتها أعلى ليس إلا تجنيد المريدين والأتباع وغرس الطريقة الرحمانية والشاذلية فقط حتى هذه الساعة في مسابقة المنطقة "ومن جهة أخرى رحلة بغدادي مولاي الحسن نحو تونس بصفة سرية لسنا مرتاحين لها، ولا بد من اتخاذ الاحتياطات والاحتراس من طرف السلطات العامة واليقظة التامة..." [51] هذه المراسلة تبين عمق التواصل الروحي بين أتباع الطريقة الواحدة في القطرين ومدى الإسهام الجزائري الطرقي العليوي في تونس، حيث جاء في المراسلة وبعد أن شرح الميولات الطرقية لشخصيتين جزائريتين هما " بن بعزيز عبد الرحمان وبوفليج الصديق وكلاهما من بلدية البيبان المختلطة، أنهما خاضعان لأوامر الشيخ بن عليوة بمستغانم موضحة خطورتهما على الإدارة في الجزائر.

5-الطريقة السنوسية:

وتسمى الطريقة السنوسية بالطريقة المحمدية وأتباعها يدعون بالاخوان مثل معظم الطرق الأخرى ولكن تستوعب عدد كبير من الأتباع نظرا لعدم كثرة قيودها أوشروطها وقد ذكر بعضهم أن حوالي عشر طرق منتشرة في الجزائر وتونس لها أتباع السنوسية وتخضع لتعاليمها، وقد إتهمت حتى التيجانية بأنها ضالعة في هذا التيار أما الشاذلية والدرقاوية والمدينية فبالتأكيد أنها مستوعبة في السنوسية، وقد ذكر " فينيون" أن أتباع السنوسية مستعدون لتنفيذ الاغتيالات والقيام بالثورات، ثم عدد ما واجهه الفرنسيون من أتباع السنوسية منذ 1852م تاريخ الهجوم على الأغواط من قبل الشريف محمد بن عبد

49- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ج2 بيروت، دار الغرب الإسلامي 1995

50- الرسالة معنونة تحت موضوع " قضية المسمى بغدادي من الطريقة الرحمانية الشاذلية " خاص / سري.

51- نفسه، ص 69

الله صديق السنوسي، وكذلك مبعوثي السنوسي (1879-1880-1881) ووجود شخصيات منها في ثورات أولاد سيدي الشيخ واغتيال بعثة " فلاترز" عام 1881م[52]، هذا بالنسبة للجزائر أما بالنسبة لدور السنوسية في تونس، فهناك قائمة أيضا من الثورات والاغتيالات حسب " لويس فينون"، وقد اعتبر الفرنسيون السنوسية خطرا عليهم، إبتداء من " دوفريية" إلى "لاجاتو" عام 1911م، ولكن درجات الخطر تختلف من كاتب إلى آخر ويقول " رين" أن الفرنسيين أخذوا يهتمون بالسنوسية في الجزائر حوالي 4800 فردا، ولهم زاوية واحدة هي زاوية طكوك و30 مقدما في سنة 1897م، وذكر"ديبون" و"كوبولاني" أن السنوسية تعد 950 أخوانيا، وعشرون مقدما وشيخا واحدا وزاوية واحدة كما أن السنوسيين كانوا منتشرين في تونس وخاصة في منطقة الجريد وكانت على تواصل تام بالزاوية الطكوكية بمستغانم، وهذا إضافة إلى أن أتباع السنوسية كانوا منتشرين في الطرق الأخرى أيضا.[53]

6- طريقة التيجانية:

لئن ظهرت الطريقة التيجانية على يد مؤسسها سيدي أحمد التيجاني (ت 1814م) والجنوب الجزائري فإن دخولها إلى البلاد التونسية كان في مطلع القرن (19م) على يد سيدي إبراهيم الرياحي (ت 1850م) حيث كانت أول زاوية للطريقة بالبلاد التونسية، وتركزت أولا بالحاضرة ثم غزت الجنوب فأسّست سنة 1814م زاوية بتوزر ثم ثانية سنة 1926م، كما كان لها أتباع بالمنطقة، في حين لم تظهر لها زوايا في النصف الشمالي، إلا في مطلع النصف الثاني من القرن 19م منها زاوية الشاوش صالح بباجة سنة 1846م وأخرى ببنزرت سنة 1860م وبباب المغارة سنة 1875م وزاوية سيدي صالح التيجاني ببوعرادة، والتي ولد بها محمد الشريف التيجاني على الأرجح سنة 1886م والذي كان والده قد خلف أباه في مشيخة الزاوية سنة 1868م.[54]

ومن نشاطات محمد الشريف التيجاني (1986-1942م) إصداره لثلاث جرائد هي: جريدة "المنصف" وهي جريدة علمية سياسية أسبوعية صدر عددها الأول في 20 أكتوبر 1907م، والمتأمل في المسائل التي وقع التطرق إليها في افتتاحياتها يلاحظ أنها قضايا حسّاسة تعيشها البلاد التونسية آنذاك كالمجلس الشوري ففي مقال بها، وبهذا العنوان وبإمضاء "ش.م" وقع التركيز على انعدام جدوى تلك المؤسسة الاستشارية وقد تم إيقافها في 17 افريل 1918م لأسباب مادية وما يمكن القول عن محتوياتها أنها توحي بأن مواقفها بالنسبة إلى تلك الفترة لا تخلو من أهمية ليس فقط لافتقادها بعض نواقص السياسة الفرنسية في تونس، بل كذلك لسعيها إلى إيقاظ الهمم والدعوة إلى اليقظة مما جعل البعض يرجع سبب إيقافها إلى أرائها الطليعية، وأن صاحبها قد يكون وقع جره من طرف بعض معاونيه إلى ما لم يكن

52- نفسه، ص 262.

53- للتوسع راجع، شكري (محمد فؤاد)، السنوسية دين ودولة، دمشق دار الفكر، 1948م.

54- العجيلي (التليلي) اضواء على حياة محمد الشريف التيجاني في تونس، خلال الثلث الاول من القرن العشرين، م ت م، ع (55-56) تونس: ديسمبر 1989م ص.ص 137-138. للتوسع يراجع:

- Archives Nationales (Tunis), Serie D, C178, Dossier 3/14, NP9, D.Ex (1911-1914).

يرغب فيه وما لا يتماشى وخط الجريدة بل هناك من اعتبر محمد الشريف التيجاني من ألدّ أعداء الإدارة الفرنسية[55]:

– جريدة "خطيب العالم" وهي دورية أسبوعية سياسية أدبية إسلامية صدر عددها الأول يوم 04 جوان 1908م.

– جريدة التسامح وفيها إلتزم بمواقف معتدلة وكانت تسحب ما بين 900 إلى 1000 نسخة وتوقفت عن الصدور بداية جويلية 1909م .

7 – الطريقة البوعلية:

وهناك طرق صوفية ذات نفوذ قليل في الجزائر أما أصولها فتوجد في تونس أو في غيرها من دول المشرق ومعظمها ترجع إلى طرق معروفة كالقادرية والشاذلية مثل الطريقة البوعلية التي تنسب إلى "بوعلي السني دفين نفطة (ت 610) هـ وقد إشتهر بالنفطي ولقب بالسني لأنه انتصر لأهل السنة والجماعة ضد أهل المذاهب الأخرى سيما الخارجية التي انتشرت في منطقة الجريد بالجنوب التونسي ووادي سوف كما كان أصحاب وتلاميذ أبي مدين دفين تلمسان 594هـ، وللنفطي مناقب ألفها أحد أتباعه، وهو الحسن بن أحمد البجائي ونظرا لقربها من الحدود فإن بعض الجزائريين تأثروا بهذه الطريقة التي ترجع إلى القادرية وكان أتباعها موجودون في قسنطينة وعنابة وتبسة وسوف وهي الجهات التي يقصدها التجار التونسيون أيضا والسلطات الفرنسية التي كانت تحرص على جمع أخبار هذه الطرق أكدت أن البوعلية تكاد تكون غير معروفة في الجزائر إلى غاية احتلال تونس (1881م).

وقد ذكر "رين " أن أول إشارة إليها كانت سنة 1876م حين لاحظوا في عنابة وجود شخص في قابس إسمه "الحبيب بن الصغير" فاعتقلوه وحاكموه ثم طردوه من الجزائر، وأتباع الشيخ بوعلي السني في الجزائر يمارسون الرقص العصبي والتشنج وهم بذلك يشبهون العيساوية.[56]

وقد أظهرت التقارير الفرنسية أن البوعلية التونسية المنشأ – لها نفوذ أقوى من وصف رين لها فقد كان لها زاوية فرعية في خنشلة ولها مقدم اسمه "عمارة بوخشم"، ولها عدد آخر من المقدّمين والشوّاش وكان لها في إقليم قسنطينة وحده أربع زوايا حسب إحصاء "ديبون" و"كوبولاني" عام 1897م، كما لها 364 من الأخوان وفيهم بعض النسوة وستة مقدمين، أما شيخها الرئيسي ففي الزاوية الأم بنفطة.[57]

لقد لعبت الطرق الصوفية في المغرب العربي دورا هاما وخطيرا، هذا الدور له اتجاهان:

- اتجاه إيجابي ضخم بعيد المدى في نشر الإسلام بالقارة الأفريقية على نحو أذهل المستعمرين وأقضّ مضاجعهم .

---

[55]– نفسه، ص 142.

[56]– نفسه، ص 143–144.

57– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 275.

- اتجاه سلبي أو مضاد في الالتقاء بالاستعمار الفرنسي وتأييده وتأثيره على العامة للإذعان له

.

ولا شك أن الحركات الفكرية في المغرب كان مبعثها إسلاميا، وعلى الجملة فقد كانت هذه الطرق مراكز وجماعات للدعوة الإسلامية، فقد أخرجت العشرات من الدعاة الفاقهين الفاهمين الذين إنبثوا في أفريقيا وكان لها دورها الواضح في نشر الدعوة ومواجهة جماعات التبشير المسيحية ومقاومتها، وكان دورها البالغ في مقاومة النفوذ الفرنسي والايطالي والاسباني المتسلط على المغرب الغربي كله.

" إن هذه الطرق استطاعت أن تحفظ الإسلام في هذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، وعمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا (الرباطات)، ويرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل ويقومون بتعليم الناشئة وبثّ العلم في صدور الرجال، ولولا تلك الجهود لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعربية ولا لعلوم الدين".[58]

وعلى ضوء المعطيات الكثيرة التي ذكرناها سلفا تبين لنا أن نقاط التماس بين مفاصل التشكيلات السكانية الممتدة على الساحل التلي أو الصحراوي من الجزائر إلى تونس كانت في غالبها ذات طابع ثقافي واجتماعي أكثر منه سياسي، إذ كان لشيوخ الدين الطرقيين دور فعال في إقامة الروابط بين السكان في كلا البلدين، ولنا أن نذكر بما قامت به كل من الرحمانية والقادرية والشابية من تقارب بين سكان القطرين، ولهذا لا نستغرب من المناصرة التي كان يلتزم بها كل طرف لصالح الطرف الأخر في هذا البلد أوفي ذاك أثناء الحروب والنوازل، سواء تلك التي كانت ضد البايات في كل من الجزائر وتونس، أم التي كانت ضد فرنسا مثلا لما ثار " علي بن غذاهم " عام 1864م ضد الباي التونسي، وقف إلى جانبه كل من محمد العيد التيجاني المتوطّن بتماسين والدور نفسه التزمت به قبيلة عبد النور الموجودة في ناحية قسنطينة فقد أوته ونصرته.[59]

---

[58]– الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا، القاهرة: الدار القومية، 1965، ص 51

59– عميراوي، علاقات البايلك، ص48